

عبد الخالق الجوفي

(غزة تستصرخ)

"مسرّحيه إنشادية تجسّد مقاومة الاحتلال والأحداث المأساوية التي تحدثتْ هذه الأيام على مرأى العالم ومسمعه في غزة الصمود والتّحدي عبر مراحلهِ المختلفةِ بدأً بمرحلةِ الضعفِ مروراً بالتحفيزِ ومنّ ثمّ المقاومة فالانتصار بإذن الله تعالى وذلك من خلال الصراع العربي الإسرائيلي بأسلوبٍ تعبيريّ جسديّ رمزيّ يوحي ولا يصرّح ويرمز وبلا أيّ تفصيل "

٢٠٠٩/١/٧م

قراءة ممتعة

مع تحيات يحيى الصوفي

مؤسس ورئيس تحرير موقع

القصة السورية
Syrian Story

(المشهدُ الأول)

يفتح الستار ، تبدأ الإضاءة بالتدرج سطوعاً فيدخل مجموعة أطفال تتراوح أعمارهم بين الست إلى الثمان سنوات ويطلقون حمامات بيضاء ويبدوون باللعب وفجأة ينطفئ المسرح ويُسمع دوي انفجارات وأصوات طلقات الرصاص يصاحبها إضاءات تمثل الانفجارات في حين يتساقط الأطفال بمرأى أحد شبان الانتفاضة .. تظهر عليه معالم الألم .. تغرورق عيناهُ ... يكتب وصيتهُ من فوره ويرتدي حزاماً ناسفاً ويهرعُ إلى جنود الاحتلال ليقوم العديد من القتلى في صفوفهم ...

يضاءُ المسرح ويدخل إليه أربعة أشخاص على أنغام الموسيقى المعبرة عن الحزن بحركةٍ جنائزية مرتدين ثياباً بيضاء موحده .. يحملون على أكتافهم طفلاً ملفوفاً بالعلم الفلسطيني وخلفهم والدة الشهيد يضعونه وسط المسرح ثم يخرجون بنفس الطريقة لتبقى الأم عند رأس طفلها دامعةً محنيةً عليه ... يديها على رأسه يدخل الرجال الأربعة مرةً أخرى حاملين طفلاً آخر ويضعونه جوار الطفل الأول وهكذا يحملون إلى المسرح أربعة أطفال شهداء ومع كل طفلٍ تدخلُ والدته خلفه ويخرجون بنفس الطريقة ... ثم يدخلُ ستة رجال يرتدون نفس الثياب إلى أرضية المسرح يحملون أشلاء الفدائي الشهيد.

يَعُمُ الظلامُ ثم يتدرج الضوء الأحمر ويعلو الصوتُ مدوياً بوصية الشهيد في حين تعرض لوحة عرض سينمائية كبيرة في الجانب الأيمن

"الحمد لله رب العالمين ... الذي جعل للمجاهدين الأجر و التمكين
و جعل للشهداء منازل الفردوس و منازل عليين .. و الصلاة و السلام
على شهيدنا و حبيبنا و قرّة أعيننا إمامنا و قائد الغر الميامين و على آله
و أصحابه و التابعين... و على الشهداء و الصالحين و من سار على
دربهم و طريقهم إلى يوم الدين ... و بعد ...

فإنني أنا العبد الفقير إلى الله ... أحوج العباد إلى مغفرته و مرضاته :

أنا شهيد الأقصى

إليكم وصيتي هذه رجياً من الله تعالى أن تكون خالصة لوجهه الكريم
... و أن يجعلها شهادةً خالصةً في سبيله تُراق فيها دمائي ... و
تتبعثرُ فيها أشلائي ... و تكون حجةً لنا يوم اللقاء ... يوم لا ينفع مالٌ
و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ... و إنني أكتب هذه الوصية
في عجلة من أمري و لن أطيل ... فقد زاد شوقي للجنة بعد أن
سمعت قول الله تعالى يحثني و ينادني (من المؤمنين رجال صدقوا ما

تبديلاً) و قوله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و يقتلون و عداءً عليه حقاً في التوراة و الإنجيل و القرآن و من أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به و ذلك هو الفوز العظيم) « صدق الله العظيم » فقررت أن أقدم نفسي و روعي و ما أملك في سبيل الله لعلّ الله يقبلني عنده في الشهداء و يكرمني بكرامة الأولياء ... فكيف بي إذا أقبلت على الله شهيداً مقراً لعيون المؤمنين و شافياً لصدورهم ، (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم و يخزهم و ينصركم عليهم و يشف صدور قوم مؤمنين) .
أسأل الله بشهادتي هذه أن أشفي صدور قوم مؤمنين .

و إنني إذ أقدم وصيتي هذه أسأل الله القبول .

إخواني و أخواتي ... أرجو منكم مسامحتي ... فقد قصرت في حَقكم كثيراً ... و لعلّي أتعبتكم كثيراً ..
أوصيكم من بعدي أن تتوحدوا و تكونوا على قلب رجل واحد ، و لا تختلفوا .. أوصيكم جميعاً بتقوى الله و طاعته ، و أن تربيوا أبناءكم و بناتكم على عشق الشهادة و أن تكونوا بناة الأمة إن شاء الله ... لقد كنت حريصاً دائماً على تذكيركم بالجهاد، أما الآن فسأترك دمي يخاطبكم و أشلائي تُوصيكم

أظن أنكم الآن ستستيقظون .. أحبائي ... أكثروا من الدعاء لي و لكافة المؤمنين و سأوصلهم بإذن الله تحياتكم و أشواقكم ... ، و ها أنتم تتذكروني معهم ... فأكثروا الدعاء ... و سامحوني و لكم مني التحية "

« يُصاحبُ ذلك على اللوحة السينمائية عَرَضاً لمشاهد وصور للنضال و الجهاد في سبيل الكرامة و تحرير المقدسات .. »
تُسلط الإضاءات الدائرية على الشهداء المُسجاة أجسادهم على أرضية المسرح

يُصاحب ذلك أغنية تقولُ كلماتها .:

(أجيال وراء أجيالٍ

حتعيش على حلمنا

واللي نقوله اليوم

محسوب على عمرنا)

لحظاتٍ من الوجوم تُخيمُ على المسرح إلا من موسيقى تعبرُ عن الحزن والألم يليها دخول اثنا وعشرون رجلاً إلى المسرح مُرتدين ملابس بيضاء موحده و يتوزعون أربعة أربعة عند كل طفل وستة عند الفدائي و بحيث كل اثنين في جهةٍ من جهات الطفل (اليمين و الشمال) و ثلاثة بكل جهةٍ من جهات الفدائي الشهيد يجلسون لحمل الشهداء بحركةٍ تعبيريةٍ جنائزية واحدة و يقفون حاملين الشهداء مرةً واحدة لتبداء أمهات الشهداء بالزغاريد ثم يخرجون بحركة تعبيرية و النساء خلفهم تصرخُ

لغزّه حـق و ضاع الحـق

في غزّه ظلم وموت و حـرق

كـذا دم العـرب أصـبح

بـلا قيمـه و لاله حـق

نظـالـع نشـرة الأـخـبـار

قـبر و احـد يُضـم اصـغـار

عـد و يقـتلنا و العـالم

يـرر للـعدو العـذار

شـوارع غزّه تـبـكـينا مآذنها تناديـنا

بـكل ساعـة بـكل لـحظـه جنـانـرة في أهـالينا

يا امتنا الـنـز من مـراجـي نبي موقـف فينا و اضـح

نبي موقفي يشـرفنا تـرا التـاريخ ميسـامـح

لغزّه حـق و ضاع الحـق

في غزّه ظلم وموت و حـرق

(المشهدُ الثاني)

يضاء المسرح تدريجياً فيظهر المسرح مقسوماً بحاجزٍ عسكري
إسرائيلي على يمينه شبابين و مجموعةٍ من النساء والأطفال والشيوخ
الفلسطينيين يريدون عبور الحاجز للجهة الأخرى وعلى شماله
مجموعة من جنود الاحتلال الصهيوني وكلابهم البوليسية حيثُ يبدأ
التفتيش بمصاحبة موسيقى تعبر عن ضربات القلب التي تزداد شيئاً
فشيئاً حيثُ يظهر التعسفُ في طريقة التفتيش ... يفتشُ الشابان ثم
الأطفال ومن ثمَّ يهْمُ جنود الاحتلال بتفتيش النساء فيمنعهم الشابين
بالقوة .. يتعرضوا للضرب من قبل جنود الاحتلال بكعاب البنادق ومن
ثمَّ التكسير فيتدخل الشيوخ والنساء والأطفال فيسلط جنود الاحتلال
كلابهم بعد أن يطلقوا النار على الشابين ليردوهما قتيلين يبكي
الأطفال ... وتبدأ الإضاءة بالسطوع والخفوت السريع بمصاحبة أغنيةٍ
تقول كلماتها :

"الأجلك يا مدينة الصلاة نُصلي

لأجلك يا بهية المساكن..

يا زهرة المدائن...

يا قدسُ

يا قدسُ يا مدينة الصلاة نُصلي ...

عيوننا إليك ترحلُ كلُّ يوم... ..

تدورُ في أروقةِ المعابد

تعانقُ الكنائسَ القديمة

وتمسحُ الحزنَ عن المساجد

يا ليلةَ الإسراء ... يا دربَ من مروا إلى السماء... ..

عيوننا إليك ترحلُ كلُّ يوم ... وإني أصلي "

وأصوات الضرب والرصاص لا يزال مسموعاً

ينتهي المشهد بجثث الفلسطينيين ملقاهُ على أرض المسرح والطفل

الناجي الوحيد من هذه المذبحة بإحدى زوايا المسرح ينظر للمشهد

بمنتهى الرعب .

(المشهد الثالث)

يضاء المسرح بإضاءة أرجوانية عالية ويدخل إلى المسرح من إحدى جهاته مجموعة من الناس من الجنسين ومن مختلف الأعمار يحملون الشعارات المناهضة للعدوان الصهيوني ويصرخون بصوتٍ واحد "بالروح بالدم نفديك يا غزة ... بالروح بالدم نفديك يا فلسطين "

في حين تعرضُ اللوحة السينمائية صوراً للمظاهرات العربية الغاضبة في مختلف الدول العربية والعالم والمنددة بالاحتلال الصهيوني وتعسفه ومذابحه بمصاحبة أغنية :

" وين الملايين؟! .

وين الملايين؟! .

الشعب العربي وين؟! .

وين؟! . وين؟! . "

يخرج المتظاهرون من الجهة الأخرى للمسرح وهم يرفعون الشعارات وصراخهم لا يزال مدو .

(المشهدُ الرابع)

يبدأ الضوء بالسطوع التدريجي لتظهر طاولة كبيرة و مستديرة وسط المسرح ثم يدخل من أبواب مختلفة اثنا وعشرون رجلاً يرتدي كلاً منهم زياً وطنياً تراثياً لبلدٍ عربي يمثلهُ ويجلسون حول الطاولة ليتبادلوا الحديث والبسمات وفجأةً ...

صوتٌ مجلجلٌ في أرجاء المسرح يقول :

لقد أسمعت لو ناديت حياً
ولكن لا حياة لمن

تنادي

ونامراً لو نفخت بها أضأت
ولكن أنت تنفخ في مرماذٍ

وبنفس الصوت المجلجل :-

مرّبّ وامعتصماه انطلقت
ملى أفواه الصبايا اليتيمِ

لامست أسماعهم لكتها
لم تلامس نخوة المعتصمِ

يصاحب ذلك وعلى لوحة العرض السينمائي صورٌ من مآسي الشعب العربي بالعراق والصومال وفلسطين ... صورٌ للمذابح والشهداء ...

" الله اكبر الله اكبر الله اكبر "

يتصافحون ويصاحب ذلك أغنية :-

أخي جاويز الظالمون المدي

فحق الجهاد وحق الفدي

أتركهم يغضبون العروبة

مجد الأبوة والسودا

وليسوا بغير صليل السيوف

يُجيون صوتاً لنا أو صدى

أخي أيها العربي الأبوي

اليوم موعداً لا الغدا

أخي إن في القدس اختالنا

أعد لها الذابجون المدي

تطفئ الأنوار...

(المشهد الخامس)

يدخل لأرض المسرح اثنا وعشرون جندياً يعصب كل واحدٍ منهم رأسه بعصابة تمثل علم دولة عربية برقصاتٍ تعبيرية تحكي بلغة الجسد التدريبات والاستعداد لحسم المعركة .. وبين الفينة والأخرى يدخل جندي حتى يمتلئ المسرح بالجنود الذين يصرخون بصوتٍ واحد :-
الله اكبر .. الله أكبر .. يصاحب ذلك أغنية:

" جايين نحنا جايين ...

جايين نحنا جايين ..

من يمن الغضب الهادر ...

من تونس والجزائر نحنا جايين "

(المشهدُ السادس)

يُقسم المسرح إلى قسمين بحاجزٍ يمثل حاجزاً عسكرياً إسرائيلياً يقف خلفه جنود الاحتلال الصهيوني بعنجهيةٍ واضحة ... حيث يدخل لأرض المسرح مجموعة أطفال ونساء وشيوخ وشبان فلسطينيين ويتجهوا إلى الحاجز العسكري للعبور ... يمنعهم الصهاينة من ذلك بالقوة ويشتبك الطرفان في معركة غير متكافئة ويبدءاً أطفال الحجارة برميها على اليهود الذين يردون على ذلك بإطلاق النار فيردون العديد من الشهداء جراء ذلك ... وكل ذلك بمصاحبة التكبيرات وأغنية تقول كلماتها :-

"ثوري ... ثوري ... ثوري ... هيبى .. هيبى .. هيبى

ثوري بالحجارة

في غزة وبلاطة في القدس ورام الله

قمنا بانتفاضة كبرنا باسم الله

ما بتعود ديارنا وما بيغسل عارنا إلا الدم والحجار"

ومن ثمَّ يدخل الجنودُ العرب ويبدءا الاشتباك عبر حركاتٍ تحكي لغة
الجسد تعبرُ عن الحربِ بمصاحبةٍ انفجاراتٍ مدويةٍ وطلقاتِ نارٍ ويرافقُ
ذلك تدرج الإضاءة سطوعاً وخفوتاً وبألوانٍ مختلفةٍ بمصاحبةٍ أغنيةٍ :-

"الله اكبر يا بلادي كبري ..

بُشرى الجهادِ أقبلت فاستبشري ..

الله اكبر فوق كيدِ المعتدي

قولوا معي...

الله اكبر.... الله اكبر...

الله فوق المعتدي .."

(المشهد السابع)

تبرز خلفية المسرح المكونة من قبة الصخرة وأسوار مدينة القدس ...
الإضاءة تُبرز جنث اليهود الملقاة على أرض المسرح ... يُرفع العلم
الفلسطيني على الأسوار وقبة الصخرة يرافقها تكبيراتٍ تتعالى .

" أناديكم أناديكم....

أشدُّ على أياديكم

أبوس الأرض تحت نعالكم

(٢

وأقول: أفديكم

أنا ما هُنت في وطني

ولا صَعَّرت أكتافي

(١

وقفت بوجه ظلامي

وأهديكم ضياء عيني

يتيمًا، عاريًا، حافي

ودفاء القلب أعطيكُم

أناديكم...

فمأساتي التي أحيا

نصبي من مأسيكُم

(٣

حملتُ دمي على كفي وما نكَّست أعلامي

وصنت العشب الأخضر ... فوق قبور أسلافي

أناديكم_____كم

أشدُّ على أياديكم..."

(المشهد الثامن)

تبرز خلفية المسرح التي تمثل سجوناً يقفُ خلف قضبانها عشرات الفلسطينيين ... وأمامها سجانين إسرائيليين ... تُسمع طلقات نار من الخارج فيفر السجانون من أمام الزنازين ... يدخل الجنود العرب لفك أسر إخوانهم الفلسطينيين يتقابل الجميع بالأحضان بأسلوبٍ إيحائي يُعبر عن الفرحة الغامرة ثم يتراقصون رقصات شامية وأيديهم متشابكة وبصوتٍ مدوٍ :-

خرجنا من السجنِ شُم الأتوف كما تخرج الأسدُ من غابها

ويصاحب ذلك أنشودةٌ حماسية تقول كلماتها :-

| | |
|------------------------|----------------------|
| يا بيارق الثورة اطلعوا | عَ كل تل توزعوا |
| صرخة فداء صوت البطل | من ميسلون تسمعوا |
| يوسف هجم والسيف قال | دم الفداء عزم الرجال |
| نسلك يا جيش الاحتلال | من أرضنا راح نقلعه |
| من أرضنا راح نقلعه | |

(المشهد التاسع)

يدخل الأهالي إلى المسرح من احد أبوابه وأعينهم تترقب القادم الذي غاب عن مُحياهم سنيماً وشهوراً ... حتى يدخل مُعتقلي فلسطين من بابٍ آخر للمسرح ويبدءوا بالسلام الحار والأحضان يُصاحب ذلك أغنية :-

منتصبَ القامةِ أمشي
مرفوع الهامةِ أمشي
في كفي قصفة زيتون
وعلى كتفي نعشي
وأنا أمشي وأنا أمشي....

قلبي قمرٌ أحمر
قلبي بي بستان
فيه فيه العوسج
فيه فيه الريحان
شفتاي سماءً تمطر
ناراً حبيئاً حُباً أحيان
في كفي قصفة زيتون
وعلى كتفِي نعشي
وأنا أمشي وأنا أمشي....

(المشهد الأخير)

طاولة مستديرة تتوسط المسرح ... تخفت الإضاءة ... يدخل اثنا عشر رجلاً ويجلسون حول الطاولة ...
يدخل مجموعة من الناس رجالاً ونساءً ... جنوداً ومدنيين إلى المسرح خلف المجتمعين ... عيونهم تترقبُ باهتمام ما يدور حول الطاولة ... ضربات القلب تتعالى وتتسارع عبر مكبرات الصوت ... تُطفئُ الأنوار إلا من إضاءة دائرية كبيرة تُغطي مساحة الطاولة والمجتمعين حولها صوتٌ مُجلجل و مدوّ في أركان المسرح يقول :-

((قرارات القمة))

إنه وفي يوم الجمعة ٢٠٠٩/١/٢م اجتمع قادة البلدان العربية الممثلة بجامعة الدول العربية جلسةً طارئة لتدارس الوضع اللاإنساني في غزة

أولاً :- الوقوف مع إخواننا الفلسطينيين بكل إمكاناتنا الاقتصادية والصحية والعسكرية كوننا ننتمي لخندق واحد ويمهل العدو أربعة وعشرون ساعة لا غير قبل التدخل العسكري العربي .

ثانياً :- سحب ممثلينا من الأمم المتحدة احتجاجاً على الصمت الدولي الرهيب إزاء الأوضاع في غزة و التي تكيل بمعيارين ولم تُقدم للشعوب في العالم إلا ما يتوافق مع مصالح الدول الكبرى .

ثالثاً:- إرسال رسائل للدول الصديقة والشقيقة الإسلامية قبل أي تحرك عسكري أو سياسي بحيث يظل موعد التحرك العربي والتدخل في مواعده المقرر له .

رابعاً :- تفعيل اتفاقية الدفاع العربي المشترك فوراً والتمهيد لميلاد الجيش العربي تحت مظلة الجامعة العربية .

خامساً :- تفعيل اتفاقية الصندوق العربي المشترك تمهيداً للوحدة الاقتصادية العربية .

سادساً :- استخدام أوراق الضغط في العمل السياسي العربي تجاه الدول الكبرى .

سابعاً:- بدء المرحلة الانتقالية للوحدة العربية فوراً ويوقع بهذا الاجتماع الاتفاق النهائي بهذا الشأن بدءاً بالمجلس النيابي العربي الذي يتولى التشريعات القانونية العربية المتصلة بذات الشأن .

ثامناً :- السماح لأي عربي دخول أي قطر عربي ببطاقته الشخصية .
هذا والله الموفق هو نعم المولى ونعم النصير ، ، ،
صدر بموافقة قادة العالم العربي المجتمعين بالجامعة العربية بتاريخ
٢٠٠٩/١/٢ م .

*** سِتَار ***

مع تحياتي يحيى الصوفي

مؤسس ورئيس تحرير موقع

القصة السورية
Syrian Story